المعالم الفكريّة والعلميّة
لمدرسة السَّيِّد الشَّهيد محمَّد باقر الصَّدر

مشخصات الكتاب

اسم الكتاب : المعالم الفكريَّة والعلميَّة لمدرسة السَّيِّد الشَّهيد محمَّد باقر الصَّدر
المؤلف : آية الله العظمى السيد محمود الهاشمي (دام ظله)
الناشر : مكتب آية الله السيد محمود الهاشمي / النجف الأشرف
العدد : ١٠٠٠٠
المطبعة : الاميرة

الطبعة الأولى ١٤٣١



المعالم الفكريَّة والعلميَّة

لمدرسة السَّيِّد الشَّهيد محمَّد باقر الصَّدر

لآية الله العظمى

السيد محمود الهاشمي "دام ظله"

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين .

وبعد ...

إن هذا الكتاب هو بحث لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمود الهاشمي"دام ظله" كتبه بمناسبة الذكرى السنوية العشرين لأستشهاد أستاذه المفكر آية الله العظمى السيد محمدباقر الصدر(قدس)، ونشر

هذا البحث في مجلة المنهاج العدد(السابع عشر)، ونحن نقدمه للقراء الاغراء بمناسبة الذكرى السنوية لأستشهاد أستاذه "قدس سره" .

مكتب
سماحة آية الله السيد محمود الهاشمي
النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يمكن لأحد إنكار ما لسيِّدنا الشَّهيد الصَّدر (قده) من دور في ترسيخ دعائم المدّ الإسلامي الظَّافر، وإسهام في إرساء قواعده على الصعيدين الفكري والعملي، في العالم الإسلامي أجمع، وفي العراق على وجه الخصوص، حتى توّج حركة الإسلام ببذل دمه الزاكي، فكان بحق سيِّد شهداء عصره، أسوةً بجدِّه سيِّد الشُّهداء عليه السلام . لذلك فاستيعاب أبعاد عظمة هذا العالم الربَّاني، لا يتيسَّر لأحدٍ في مثل هذه الدِّراسة المقتضبة، ولكن ذلك لا يعفينا من التعرُّض لأبرز معالم مدرسته العلمية والفكرية، التي أنشأها، وخرَّج على أساسها جيلاً

من العلماء الرساليين والمثقَّفين الواعين، والعاملين في سبيل اللَّه المخلصين.. رغم قصر حياته الشريفة التي ابتلاه اللَّه فيها بما يبتلي به العظماء من الصدِّيقين والشهداء والصالحين.

وفي ما يأتي أهمّ مميِّزات هذه المدرسة التي ستبقى رائدة وخالدة في تاريخ العلم والإيمان معاً..

١- الشمول والموسوعيَّة :

اشتملت مدرسة شهيدنا الراحل على معالجة كافة شُعَب المعرفة الإسلاميَّة والإنسانيَّة. فهي متعدِّدة الأبعاد والجوانب، ولم تقتصر على الاختصاص بعلوم الشريعة الإسلاميَّة من فقه وأصول فحسب، رغم أنَّ هذا

المجال كان هو المجال الرئيس والأوسع من إنجازاته وابتكاراته العلميَّة، فاشتملت مدرسته على دراسات في الفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والفلسفة، والعقائد، وعلوم القرآن، والاقتصاد، والتاريخ، والقانون، والسياسة الماليَّة والمصرفيَّة، ومناهج التعليم والتربية الحوزويَّة، ومناهج العمل السياسي وأنظمة الحكم الإسلامي، وغير ذلك من حقول المعرفة الإنسانيَّة والإسلاميَّة المختلفة.

وقد جاءت هذه الشموليَّة نتيجة لما كان يتمتع به إمامنا الشَّهيد من ذهنيَّة موسوعيَّة عملاقة، يمكن اعتبارها فلتة يحظى بها تاريخ العلم والعلماء بين الحين والآخر، والتي تشكل كل واحدة منها على رأس كل عصر

منعطفاً تاريخيَّاً جديداً في توجيه حركة العلم والمعرفة وترشيدها .فلقد كان، رحمه اللَّه، آية في النبوغ العلمي، واتساع الأفق، والعبقريَّة الفذَّة. وقد ظهر نبوغه منذ طفولته، وبداية حياته، وتحصيله العلمي، كما شهد بذلك أساتذته وزملاؤه وتلاميذه، وكل من اتصل به بشكل مباشر، أو التقى به من خلال دراسة مصنَّفاته وبحوثه القيِّمة.

٢- الدقَّة في البحث والتحليل، وشمولية المعالجة :

من النقاط ذات الأهميَّة الفائقة في اتصاف النظريَّة، أيَّة نظريَّة، بالمتانة والصحَّة مدى ما تستوعبه من احتمالات متعدِّدة، وما تعالجهُ من جهات شتَّى مرتبطة بموضوع البحث. بالإضافة إلى التبويب المنطقي المتناسب

مع الموضوع المعالج، وهذه الخصيصة هي الأساس الأوّل في انتظام الفكر والمعرفة في أيِّ باب من الأبواب، بحيث يؤدِّي فقدانها إلى أن تصبح النظريَّة مبتورة، ذات ثغرات ينفذ من خلالها النقد والتفنيد للنظريَّة. وهذه الدقة في البحث العلمي، كانت من أهم ما ميَّز بحوث السَّيِّد الشَّهيد (قده) وظهرت بدرجة عالية في جميع ما كتبه، فلم يكن يتعرَّض لمسألة من المسائل العلميَّة، سيما في الأصول والفقه إلا ويذكر فيها من الصور والمحتملات ما يبهر العقول، وهذا ما نجده في حلقاته الأصوليَّة وبحوثه الأخرى، ونذكر منها على سبيل المثال: مباحث القطع، فقد اشتملت هذه المباحث على نكات دقيقة وتخريجات جديدة لم يُلْتَفت لها من قبل.

وقد ظهرت هذه السِّمة العلميَّة وهذه الخصيصة كذلك في أحاديثه الاعتياديَّة، فعندما كان يتناول أي موضوع، ومهما كان بسيطاً واعتيادياً، يصوغه صيغة علميَّة، ويخلع عليه نسجاً فنياً ويطبعه بطابع منطقي مستوعب لجميع الاحتمالات والشقوق، حتى يخيَّل لمن يستمع إليه أنه أمام تحليل لنظريَّة علميَّة تستمدُّ الأصالة والقوة والمتانة من مسوِّغاتها وأدلَّتها المنطقيَّة.

٣- الإبداع والتجديد :

ترتكز حركة العلوم وتطوّر المعارف البشريَّة على ظاهرة التجديد والإبداع التي يقوم بها العلماء والمحقّقون في حقل من حقول المعرفة. وقد كان سيِّدنا الشَّهيد(قده) يتمتع بقدرة فائقة على التجديد، ومحاولة تطوير ما كان

يتناوله من العلوم والنظريَّات سواء على صعيد المعطيات أم على مستوى في الطريقة والإستنتاج. وكان من ثمار هذه الخصيصة أنَّه استطاع أن يفتح آفاقاً للمعرفة الإسلاميَّة لم تكن مطروقة قبله. فكان هو رائدها الأوَّل، وفاتح أبوابها، ومؤسِّس مناهجها، وواضع معالمها وخطوطها العريضة. وهذا ما ظهر في بحوثه الاقتصاديَّة، فقد عالج موضوعات ومباحث جديدة على الفقه الإسلامي، واستطاع أن يكتشف المذهب الاقتصادي الإسلامي. كذلك الأمر بالنسبة لأطروحاته المبتكرة حول البنك الإسلامي اللاربوي، - في هذه البحوث كان سيِّدنا الشَّهيد(قده) مبدعا لم يسبق، ومبتكراً لم ينطلق من بحوث أو دراسات منجزة من قبل في هذه المجالات.

كذلك الأمر بالنسبة لتطبيقاته للمنهج الموضوعي في التفسير والتاريخ، فقد استطاع سيِّدنا الشَّهيد(قده) أن يكتشف معالم هذا المنهج الذي يمكننا كما يقول(قده): ((من تحديد موقف نظري للقرآن الكريم، وبالتَّالي للرسالة الإسلاميَّة من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة أو الكون))، وهذا ما أكَّده واستطاع الوصول إليه في بحوثه حول ((السُّنن التاريخيَّة في القرآن)) ووحدة أدوار أئمَّة أهل البيت في التاريخ، رغم اختلاف أزمنتهم وتنوُّع مجالات جهادهم.

كذلك الأمر بالنسبة لدراسته المتميِّزة حول ((الأسس المنطقيَّة للإستقراء))، فقد استطاع سيِّدنا الشَّهيد(قده) أن يعالج الثغرات التي كان يعاني منها

المنطق الإستقرائي، وقدَّم تفسيراً جديداً مخالفاً لأرسطو وبرتراندرسل سمَّاه بـ ((المذهب الذاتي)). كما استطاع أن يثبت أنَّ الأسس المنطقيَّة التي تقوم عليها جميع الاستدلالات العلميَّة المستمدَّة من الملاحظة والتجربة، هي الأسس المنطقيَّة نفسها التي يقوم عليها الاستدلال على إثبات الصانع المدبِّر لهذا العالم، كما يقول سيِّدنا الشَّهيد(قده)الذي يؤكِّد في نهاية كتابه هذه الحقيقة قائلاً: ((وعليه فإنَّ هناك معادلة صارمة، فإمَّا أن يقبل الإنسان بالاستدلال العلمي ككل، فتدخل القضيَّة الإلهيَّة في ضمنه، وإمَّا أن يرفضه ككلّ، ولذا لا بد أن يكذب كل نتائج العلم بما فيها النتائج التي تعتبر صحيحة ومسلَّمة!؟ وبهذا يرتبط العلم والإيمان برباط لا يمكن زحزحته بأيِّ حالٍ من الأحوال)).

أمَّا بالنسبة للتجديد؛ فجميع بحوثه ومؤلَّفاته لا تخلو أبداً من عناصر تجديديَّة، خصوصاً بحوثه في علمي الأصول والفقه، فقد أعاد ترتيب مباحث هذين العلمين، وقدَّم للحوزة العلميَّة مناهج جديدة في علم الأصول نذكر منها كتابه ((معالم الأصول)) الذي احتضن مقدِّمة علميَّة رائعة حول تاريخ علم الأصول ونشأته وتطوره، أمَّا بخصوص ترتيب أبواب هذا العلم، فقد أدخل تعديلات كثيرة بهدف تمكين الطلبة من استيعاب هذه المادة بشكل جيِّد ومتدرِّج، هذا الاستيعاب تظهر ثماره في بحث الخارج، وهناك أمثلة كثيرة عمَّا أضافه السَّيِّد الشَّهيد في علم الأصول، كما أنَّ بحوثه التفصيليَّة في علمي الأصول والفقه اشتملت على عدد كبير من الإضافات والتجديدات نذكر منها، في مجال الأصول، التجديد الذي

أدخله على بحث التعادل والتراجيح وما أضاف إليه من فصول بخلاف المنهاج المعهود والمتعارف في هذا البحث، وفي الفقه أخرج الزكاة والخمس من قسم العبادات ـ عندما كتب ((الفتاوى الواضحة)) .

لذلك ستبقى المدرسة الإسلاميَّة مدينة لهذه الشخصيَّة العملاقة في هذه الحقول. وخصوصاً في بحوث الاقتصاد الإسلامي والمنطق الإستقرائي والتاريخ السياسي لأئمَّة أهل البيت"عليهم السلام" .

٤-المنهج الموضوعي والنظرة الكليَّة :

ظهر ذلك بشكل واضح في بحوثه حول التفسير الموضوعي، وكذلك في مجال الاقتصاد؛ حيث عالج سيِّدنا

الشَّهيد(قده) موضوعاته بشكل متكامل، وجمعها تحت عناوين جديدة، بينما كانت تعالج ضمن أبواب فقهيَّة متفرِّقة مثل (ملكية الأرض، الربا، المزارعة، المضاربة). كما دعا السَّيِّد الشَّهيد إلى تطبيق هذا المنهج في جميع حقول المعرفة ليس فقط في مجال الاقتصاد وإنَّما في التفسير والتاريخ والسيرة الخ.. وقدَّم أُنموذجاً رائعاً لتطبيق هذا المنهج الموضوعي في بحوثه حول تاريخ أئمَّة أهل البيت"عليهم السلام"، وهذا الاتجاه الجديد في البحث كما يقول سيِّدنا الشَّهيد(قده): ((يتناول حياة كل إمام ويدرس تاريخه على أساس النظرة الكليَّة بدلاً من النظرة التجزيئيَّة، أي ينظر إلى الأئمة ككل مترابط، ويدرس هذا الكل وتُكتشف ملامحه العامَّة، وأهدافه المشتركة، ومزاجه

الأصيل، ويُفهم الترابط بين خطواته، وبالتالي الدور الذي مارسه الأئمَّة جميعاً في الحياة الإسلاميَّة)) .

وظهر هذا المنهج التوحيدي والموضوعي، كذلك، في التقسيم الذي ابتكره في رسالته الفقهيَّة ((الفتاوى الواضحة))ومحاضراته التي ألقاها على الطلبة في النَّجف الأشرف في التفسير الموضوعي للقرآن، وفيها أكَّد(قده) على أهميَّة الانطلاق من الواقع للوصول إلى النصّ القرآني وفقهه، يقول سيِّدنا الشهيد بهذا الصدد: ((التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن، لا أن يبدأ من القرآن وينتهي بالقرآن، فتكون القراءة منعزلة عن الواقع، منفصلة عن تراث التجربة البشريَّة، بل هذه العمليَّة تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن، بوصفه القيم

والمصدر الذي يُحدَّد على ضوئه الاتجاهات الربانيَّة إلى ذلك الواقع)).

أمَّا أهداف تطبيق هذا المنهج فهي الوصول -كما صرَّح به سيِّدنا الشَّهيد في ((المدرسة القرآنيَّة))-((إلى نظريَّة قرآنيَّة عن النبوَّة، نظرية قرآنيَّة عن المذهب الاقتصادي، نظريَّة قرآنيَّة عن سنن التاريخ، وهكذا عن السَّماوات والأرض)) .

٥- تنسيق البحث واختيار الطريقة المناسبة للاستدلال في كل موضوع :

ومن معالم فكر سيِّدنا الشَّهيد(قده)، منهجيَّته العلميَّة والفنيَّة في معالجة كل ما كان يتناوله بالدرس والتنقيح.

ومن هنا نجد أنَّ طرحه للبحوث الأصوليَّة والفقهيَّة يمتاز عن كافة ما جاء في دراسات المحقِّقين السابقين عليه وبحوثهم، من حيث المنهجيَّة والترتيب الفني للبحث. فتراه يفرز الجهات والجوانب المتداخلة والمتشابكة في كلمات الآخرين، خصوصاً في المسائل المعقّدة، التي تعسر على الفهم، ويكثر فيها الالتباس والخلط، ويوضِّح الفكرة، وينظِّمها، ويحلِّلها بشكل موضوعي وعلمي لا يجد الباحث المختصّ نظيره في بحوث الآخرين. كما كان يميِّز بدقَّة طريقة الاستدلال في كلّ موضوع، وهل أنَّها لا بدّ من أنْ تعتمد على البرهان أو أنَّها مسألة استقرائيَّة ووجدانيَّة؟ ولم يكن يقتصر على دعوى وجدانيَّة المدَّعى المطلوب إثباته فحسب، بل كان يستعين في إثارة هذا الوجدان وإحيائه في نفس الباحثين

من خلال منهج خاص للبحث، وهو منهج إقامة المنبِّهات الوجدانيَّة عليه..

وهذه النقطة تظهر بوضوح في أبحاثه الأصوليَّة، فمن ذلك، على سبيل المثال، ما ذكره ((قدّس سرّه)) من ((مبعِّدات بشأن القول ببشريَّة وضع اللغة - بناءً على نظريات الأصوليّين المشهورة في تحليل حقيقة الوضع، لا على نظريته هو))[1].

٦- الجمع بين المنهج المنطقي ومراعاة الوجدان الإنساني :

من معالم فكر سيِّدنا الشَّهيد، نزعته المنطقيَّة والبرهانيَّة في التفكير ومعالجة القضايا العلميَّة، ومراعاة

(١) انظر تقريراتنا لبحث السيِّد الشَّهيد : ((بحوث في علم الأصول)) ، ٨٥/١ .

كون تلك المعطيات البرهانيَّة تنسجم وتتطابق مع الوجدان وتحتوي على درجة كبيرة من قوة الإقناع وتحصيل الاطمئنان النفسي بالفكرة، فلم يكن يكتفي بسرد النظريَّة بلا دليل أو مصادرةً، بل كان يقدِّم الأدلَّة والبراهين المقنعة على كلّ فرضيَّة يحتاج إليها البحث، حتى لا تتعسَّر عليه صياغة أي برهان موضوعي -كالبحوث اللغويَّة والعقلانيَّة والعرفيَّة - . وهذه السمة جعلت آراء هذه المدرسة ومعطياتها الفكريَّة ذات صبغة علميَّة ومنطقيَّة فائقة، يتعذّر توجيه نقد إليها بسهولة. كما جعلتها أبلغ في الإقناع والقدرة على إفهام الآخرين وتفنيد النظريَّات والآراء الأخرى. وجعلتها أيضاً قادرة على تربية فكر روَّادها وبنائه بناءً منطقياً وعلمياً، بعيداً عن مشاحَّة

النزاعات اللفظيَّة أو التشويش والخبط واختلاط الفهم الذي تسقط فيه الدراســـات والبحوث العلميَّة والعقليَّة العالية في أكثر الأحيان..

وفي الوقت نفسه لم يكن هذا الفكر البرهاني المنطقي يتمادى في اعتماد الصياغات والاصطلاحات الشكليَّة، التي قد تتعثر على أساسها طريقة تفكير الباحث فيبتعد عن الواقع ويتبنَّى نظريات يرفضها الوجدان السليم. خصوصاً في البحوث ذات الملاك الوجداني والذاتي التي تحتاج إلى منهج خاص للاستدلال والإقناع. فكنت تجده دوماً ينتهي من البراهين إلى النتائج الوجدانيَّة، فلا يتعارض لديه البرهان مع مدركات الوجدان الذاتي السَّليم في مثل هذه المسائل، بل كان

على العكس يصوغ البرهان لتعزيز مدركات الوجدان، وكان يدرك المسألة أوّلاً بحسّه الوجداني والذاتي، ثمّ يصوغ في سبيل دعمها علميّاً ما يمكن من البرهان والاستدلال المنطقي. ومن هنا لا يشعر الباحث بثقل البراهين وتكلّفها أو عدم تطابقها مع الذوق والحسّ الوجداني للمسألة، الأمر الذي وقع فيه الكثير من الأصوليين والفقهاء المتأثرين بمناهج العلوم العقليّة الأخرى..

من ذلك -على سبيل المثال- ما ذكره ((قدّس سرّه)) في مناقشة مدرسة السكاكي في حقيقة المدلول المجازي، حيث أنكرت هذه المدرسة أن يكون المجاز استعمالاً للفظ في غير ما وضع له من المعنى بحسب

القانون اللغوي، بل اعتبرته من باب الاستعمال في المعنى الحقيقي، وإنَّما العناية والتجوّز في تطبيق ذلك المعنى على غير واقعه في الخارج ادّعاءً، فقد أكّد السَّيِّد الشَّهيد أدلته البرهانيَّة على بطلان هذه النظريَّة بالوجدان ((القاضي بأنّ إسباغ صفات المعنى الحقيقي ادّعاءً على شيء قد يؤدي عكس المقصود للمتجوِّز، فمن يريد أن يبالغ في جمال يوسف فيقول: إنه ((بدر)) ليس في ذهنه إطلاقاً ادّعاء أن يوسف مستدير كالبدر، وإلاّ لفقد جماله كإنسان، لأنّ صفات البدر إنَّما تكون سبباً للجمال في البدر بالذات لا في شيء آخر.

وعلى هذا الأساس، فما ذكره السكاكي لا يصلح أن يكون تفسيراً عاماً للتجوّز)) [١].

وقد استطاع هذا الفكر العملاق، على أساس التوفيق بين خصيصته المنطقيَّة والعلميَّة في الاستدلال، وبين مراعاة المنهجيَّة الصحيحة المنسجمة مع كلّ علم، أن يتناول في كلّ حقل من حقول المعرفة المنهج العلمي المناسب مع طبيعة ذلك العلم من دون تأثُّرٍ بالمناهج الغريبة عن ذلك العلم وطبيعته.

٧- الجمع بين الذوق الفنِّي والإحساس العقلائي :

الذوق حاسة ذاتيَّة في الإنسان يدرك على أساسها جمال الأمور وتناسقها. والذهنيَّة العقلائيَّة هي

(١) انظر تقريراتنا لبحث السيِّد الشَّهيد: ((بحوث في علم الأصول)) ، ١١٩/١ .

الأخرى يدرك بها الإنسان الطباع والأوضاع والمرتكزات التي ينشأ عليها العرف والعقلاء، ويبني على أساس منها الكثير من النظريّات والأفكار في مجال البحوث المختلفة كالدراسات التشريعيَّة والقانونيَّة والأدبيَّة. وهي في الأعمِّ الأغلب مجالات للبحث لا يمكن إخضاعها ـ للبراهين المنطقيَّة أو الرياضيَّة أو التجريبيَّة، وإنَّما تحتاج إلى حاسة الذوق الفني والذهنيَّة العقلائيَّة والحسّ العرفي الأدبي. ونحن نجد في مدرسة السَّيِّد الشَّهيد الصَّدر(قده) التَّمييز الكامل بين هذه المجالات وغيرها في العلوم والمعارف، ونجد أنَّه كان يتناول المسائل في المجال الأوّل بالاعتماد على الذوق الموضوعي والإدراك العقلائي المستقيم حتَّى استطاع أن يضع المنهج المناسب في هذه المجالات وأن يؤسِّس طرائق الاستدلال الذوقي والعقلائي، ويؤصِّل

قواعدها ومرتكزاتها، خصوصاً في البحوث الفقهيَّة التي تعتمد الاستظهارات العرفية أو المرتكزات العقلائيَّة، فأبدع نهجاً فقهيَّاً موضوعيَّاً في مجال الاستظهار الفقهي خرجت على أساسه الاستظهارات من مجرد مدعيات ومصادرات ذاتية إلى مدعيات ونظريات يمكن تحصيل الإقناع والاقتناع فيها على أسس موضوعيَّة..

وتحسن الإشارة إلى أنَّه قلّما تجتمع النزعة البرهانيَّة المنطقيَّة في الاستدلال، مع الذوق الفنّي والحسّ العقلائي والذهنيَّة العرفيَّة في شخصيَّة علميَّة واحدة. فإنَّنا نجد أنَّ العلماء الذين مارسوا المناهج العقليَّة والبرهانيَّة من المعرفة وتفاعلوا مع تلك المناهج وطرائق البحث قد لا يحسّون بدقائق النكات العرفيَّة والذوقيَّة والعقلائيَّة، ولا

يبنون معارفهم وأنظارهم إلاَّ على أساس تلك المصطلحات البرهانيَّة، التي اعتادوا عليها في ذلك البحث العقلي. وكذلك العكس، فالباحثون في علوم الأدب والقانون وما شاكل نجدهم لا يجيدون صناعة البرهنة والاستدلال المنطقي، ولكن نجد أنَّ مدرسة سيِّدنا الشَّهيد قد امتازت بالجمع بين هاتين الخصيصتين اللتين قلّما تجتمعان معاً، وتمكَّنت من التوفيق الدقيق في ما بينهما، واستخدام كلّ منهما في مجاله المناسب والسليم من دون تخبُّط أو إقحام ما ليس منسجم.

٨-القيمة العلميَّة والحضاريَّة لمدرسة السَّيِّد الشَّهيد:

لقد كان سيِّدنا الشَّهيد الصَّدر مدركاً لتحديات الحضارة المعاصرة، وكان من مميِّزات مدرسته أنَّها

استطاعت التصدِّي لنسف أُسس الحضارة الماديَّة لإنسان العصر الحديث، بمنهج علمي نقدي، يرتكز على الموضوعيَّة في عرضه لهذه الأسس الماديَّة، ثمَّ توجيه النقد الموضوعي لها، وكشف تهافتها وعدم قدرتها على علاج المشاكل التي يتخبَّط فيها الإنسان المعاصر، سواء في الغرب أم في العالم الإسلامي، وقد جاء انهيار المعسكر الاشتراكي وتفكّك دوله وأنظمته السياسيَّة، ليؤكِّد صحَّة النقد الذي وجَّهه السيِّد الشَّهيد للأسس الفلسفيَّة التي يرتكز عليها هذا المذهب .أمَّا بالنسبة للمعسكر الرأسمالي فإنَّ المآسي والآلام التي أسفر عنها تطبيق فلسفته الماديَّة وترويجها تزداد اتساعاً وانتشاراً، خصوصاً داخل الدول الفقيرة والتابعة لهذا المعسكر. في المقابل وبالمنهج العلمي والمنطقي نفسه استطاع أن يعيد الثقة بالإسلام وشريعته،

عندما اكتشف نظرياته في عدد من الحقول المعرفيَّة المهمة، مثل الاقتصاد والسياسة، ويُبرز تفوّقها وانسجامها مع الواقع والمجتمع الإسلامي، وقدرتها على انتشال المجتمعات الإسلاميَّة من المشاكل التي تعاني منها، لقد استطاع السَّيِّد الشَّهيد أن يقدِّم الحضارة الإسلاميَّة شامخة على أنقاض تلك الحضارة المنسوفة، وعلى أسس علميَّة قويمة. وضمن بناء شامل ومتماسك ومتين استطاع سيِّدنا الشَّهيد من خلاله أن ينزل إلى معترك الصراع الفكري الحضاري كأقوى وأمكن من خاض غمار هذا المعترك ووفق إلى تفنيد مزاعم ومتبنيَّات الحضارة الماديَّة المعاصرة جميعها، واستطاع أن يخرج من ذلك ظافراً مظفراً وبانياً لصرح المدرسة العتيدة والمستمدة من منابع الإسلام الأصيلة والمتصلة بوحي السماء ولطف اللّه بالإنسان .

هذه نبذة مختصرة عن معالم مدرسة هذا المرجع والفيلسوف والعارف الربّاني والمجاهد الشّهيد التي أسّسها وأشادها لبنة لبنة بفكره، ونمّاها مرحلة مرحلة بجهوده العلميّة المتواصلة، وهي تعبّر بمجموعها عن البعد العلمي، الذي هو أحد أبعاد هذه الشخصيّة العظيمة الفريدة في تاريخنا المعاصر .